الشعر النجدي

اشكر الفضل للمقتطف الاغر على لسان اكبر صحيفة فارسية ألا وهي جريدة « رعد » اليومية التي قال صاحبها الصدارة بالامس قائلا ازدادت شهرة باقتباس مقالات شيخ المجلات العربية اذ اني كنت اترجم ما يروق قراءها وانشره فيها من حين الى آخر . واني اريد بهذه الكلمة الا الاشارة الى فضله على العجم وكثير من الشرقيين. هذا وقد حمل الي الجزء الاول من المجلد ٥٨ هدية ما أغنها لدى المولع بحب البدو وكرم اخلاقهم ورقة شعرهم الفطري فاني منذ شردت الى هذه البلاد ما زلت الخص عن بدوي اسامره او عربي احاضره ينشد لي الشعر النجدي واسمعه مثله فيلتذ كلانا به فما وجدت سميراً سوى المقتطف لما اتحفني بمقطوعتين بدويتين تحت عنوان « لغة اهل نجد » فرأيت ان اعقبهما بما حفظت، علماً انه يروق عشاق الادب العربي وبخاصة لهم لاسيما ان كان زلاله العذب نابعاً من طهران عاصمة البلاد الفارسية واين نجد من ايران

الشعر البدوي : ترى رب الشويهة والبعير لا يطالع من الشعر غير ديوان الزهر اليانع النضير ولا يسمع من تقاطيع العروض سوى ما ترددهُ الطيور في تغاريدها المنعشة اي لا يقرع سمعهُ مستفعل فعول. تهيج ريبب الفلا نضرة الربيع ويهزهُ النسيم العليل فيتغنى بما توحيهِ اليهِ القريحة هزجاً في هزج ويرسلهُ شعراً كرعاً . اجل انهُ لا ينعكس في مخيلتهِ سوى نمير القدير الرائق فيجري شعرهُ زلالاً سائغاً . ولا يرى الا الازهار الغضة فيقطف من قريحتهِ مثلها او ازهى منها وينظمهُ شعراً جميلاً . ولا يستنشق الا الهواء الطلق فيرسل روحهُ معهُ ويودعها في الفضاء اذ ليس هنالك من يدون نفثاتهِ الحرة الساحرة سوى الاثير . هذا اذا طرب واما اذا عجب فالسماء سفرهُ البديع وكفى بها كتاباً يحوي كل فن من قريض النجم الشعري فتخال البدوي يتمسك بأسلاك النيازك ويقتبس من كهربائها نور الدراري فيكنهُ في صدرهِ ثم يخرجهُ مع انفاسهِ الحرار شعراً زاهراً فيا ما احيلى شعرهُ اذا طرب او عجب . واما اذا غضب فخبهُ البندقية والسيف معلماً هما يبثان فيهِ روح الشجاعة والحماسة فيمثل الحمية وقوة الارادة ويبرز قلبهُ الصلد الابي

ويصيرهُ شعراً رهيباً . ذلك ابن نجد رب القطرة وشاعر الطبيعة الكريم فهو لا يقول الا ما يرى ولا يرى الاّ ما يقول. لا يعرف سوى الشجر والحجر ولا يبصر غير الوحش والابل ولكنهُ يدرك فيما يرى ما لا يدركهُ ابن لندن وباريس . نعم ذلك الشاعر الشاعر حيثما ولى وذهب. ابن هذا من الحضري الذي يكبّ على الاسفار ليل نهار ويجهد نفسهُ بحفظ القصائد القديم منها والحديث. يجد باتقان فنون البلاغة والعروض ويلوك لسانهُ ويكرر « فعول مفاعيل » .... ويتعب قريحته زمناً طويلاً فينمق الالفاظ متكلفاً وينظم من غير ان يهيجهُ منظر جميل او يفجعهُ حادث اليم انما ينظم لغيره متضجراً كان او طروباً فتراهُ يعصر مخهُ تارة ويقطب وجههُ اخرى فيذيب روحهُ ويلفظ كبدهُ قطعاً يصيّرها قوافي واهيات فيصف السماء في الليلة الظلماء وهو جالس في غرفتهِ اي لا يرى مشهدها فهو لا يقدر على ان يعطيها حقها من الوصف . او انهُ يتحمس او يمثل الوغى والقراع وهو قد لا يكون يعرف عنها شيئاً سوى ما تليهِ عليهِ الانباء . وقد يكون جباناً ينفر من صفير العصافير او انهُ يتغزل ويشبب ويقول الشعر عفواً .فهل يا ترى يحسب لفظهُ شعراً منبعثاً من روح كريم ؟ كلاّ انها الفاظ منمقة ترسلها التقاليد وهي لا تنم عن شعور هاج صاحبهُ فطرب واطرب او بكى وابكى

وربما ذكر بعضنا الطلول المندرسة وحنّ اليها متململاً وهو رهن القصر لم يشجهِ الربع المحيل . او وصف الذلول وترنم حادياً وهو لم يمتطها . فهل شعرهُ الاّ تقود مزيفة يتقدها صيارفة الادب فينبذونها ظهرياً . اما البدوي فيقف امام الربوع فيحييها من قلب قريح ويتوجع عندها طويلاً ثم يخيل لمن يعي نشيدهُ الرنان انهُ يعف روضة غناء زاهية بانواع الازهار ذات طيور سوادح ترددالحان ذيالك الشويعر . هذا موقفهُ على الدمنة ! ويغازل ابن القطرة محبوبتهُ فيكاد شعرهُ يسيل رقة وعذوبة . وعلى هذا قس ما سواهُ . اما الحضري فهو على ما يرى من الرياض النيحاء والقصور الشاهقة والانهار الجارية والشوارع الجميلة والسرج المنيرة والحانات المزخرفة والمراسح المريعة والمناظر البديعة . على ما يشاهد من البواخر والقاطرات والطيارات على ما يسمع من تضاعيف الاوتار الناغمة . على ما يرى ويسمع ويلمس ويشم ويذوق لا يستطيع ان يجاري البدوي البسيط في ميدان الشعر والشعور

وهل اتاك ايها القارىء الكريم حديث علي بن الجهم البدوي اذ خاطب الخليفة مادحاً فقال :

انت كالكلب في حفاظك للو ... دّ وكالتيس في قراع الخطوب
انت كالدلو لاعدمناك دلواً ... من كبير الدلى طويل ذنوبي(١)

فهزأ به الحاضرون واعتذر عنهُ المتوكل الخليفة العباسي انهُ بدوي لم يشاهد غير ما ذكر . ثم لما تمدن انشأ قصيدتهُ المنسجمة الشهيرة التي يقول في مطلعها :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ولم يكن ابن الجهم منفرداً بتلك البدائع الفتانة بل ذلك شأن اكثر شعراء البادية. ولا يحسبن القارىء اني ارمي ان احط من قدر شعراء الحضر المجيدين كلاً . اولئك هم البدو المتحضرون في شعرهم اولئك ذوو الفطرة السليمة والقريحة الكريمة . انما اعني المتطفلين المتكلفين الذين يظنون القوافي الموزونة العاطلة من المعاني شعراً فدعهم في تكلفهم يعمهون . ولو تمدن الشاعر النجدي وشاهد عجائب العالم الحديث وعلم انهُ يمكنهُ ان يحلق على ما قصد لما حسب ما تمنى محالاً اذ قال :

ليتني طير بخف الريش حايم ... وانهب اللي وده قلبي واغدى به(٢)

والشعر عند اهل نجد على اقسام اهمهُ القصيد فنهُ قول ابن حسين وكان قد خلفهُ الامير محمد ابن عبد الله ابن الرشيد على حايل قاعدة الامارة الرشيدية وذهب غازياً فقصدتها قبائل عنزة والقصمات (٣) فخرج اليهم ابن حسين بجيش العبيد وبعد قتال عنيف دارت رحاهُ اولاً على العبيد ثم اعادوا الكرة ودحروا الاعداء فقال متحمساً :

جونا يا بونا وديارنا والبساتين ... ويبغون منزلهم قفار وحايل(٤)

(١) انك ترى على هذين البيتين مسحة من الفهاهة التي تشف عن بلادة ناظمها لاسيما في تشبيه الخليفة بالكلب ولكن ابن الجهم نظر الى الحقيقة فيهما فترك التكلف جانباً ومدح المتوكل العباسي باخلاص من ضمير طاهر اذ انه احرز للكلب صفات لو اتصف بها الممدوح لكان افضل من اكثر الخلفاء . وكثيراً ما يصف شعراء ممدوحيهم بالاسد وهو غاية الوصف بالشجاعة ولست شعري اي فرق بين التشبيه بالسبع والكلب . لا بل لولا العادة واعتقاد المسلمين بنجاسة هذا الحيوان الوارد لحسب خيراً من الوحش الضاري الذي يفتخرون بالتشبه به . والبيتان على ما فيهما من الضعف لا يبخسان حق ناظمهما فان القريحة التي ارسلتهما هي التي انشأت القصيدة الرائية المذكور مطلعها هنا (٢) الى مخفف الذي . وأغدى بمعنى اغدو (٣) من القبائل المعروفة

(٤) جونا : مخففة جادونا . يا بونا باختلاس الالفين . ه قفار قرية في نجد تابعة لابن الرشيد وقد ذكرها القدماء في شعرهم . حايل تقدم ذكرها وتعرف ايضاً بالمبل.

وانا احمد اللي هبهب الريح يا حسين ... كون على «القعمان» واولاد وايل(١)
ثار الدوى منا ومنهم بصبيان ... ويا ما حلا بالكون ريح القتايل(٢)
أصبحت منهم خالي غير ثنتين ... سعدى ومسنون يداوي انفلايل(٣)
يوم ذبحت بشفرة السيف تسعين ... الا ولاني عن عزاهم مسايل

وقال آخر :

فاطري ما يبعها بالغين دلى ... واتزن كورها ان ظليت خايف(٤)
لو اقبلت لكانها ربد مدلى ... رافع الجنحان بازيش الخفايف(٥)
والرديف من المحاصر ما يتلى ... قاعد كنو على نزل القطايف(٦)
زل عيدين وانا ما شفت خلي ... دونهُ الصمان وخشوم النوايف(٧)
مسرحة الحواز ما عيني اللي ... تهدها مثل الفناجين النظايف(٨)
مسرحة الحواز ذا يوم يولى ... واتوجد فيهِ واكترث الحسايف(٩)

---

(١) الهمزة في وانا تقرأ الفاً . هبهب من هبّ تصرف بها كيف شاء . كون مصدر كان . اولاد وايل هم قبائل عنزة ابن وائل

(٢) الدوى : الصوت الهائل . الكون هنا عالم الوجود وقد يراد به الحرب في بعض اشعارهم . وقد كانت البنادق في ذلك العهد ذات قتايل من البارود

(٣) سعدى : اسم فرسه والمسنون السيف وانفلاش جمع فلة وهي العطش الشديد والجمع غير صحيح لان فعائل يأتي جمعاً لمؤنث ثالثه حرف مد نحو صحائف جمع صحيفة

(٤) الفاطر من الابل ما فطرنا بها . دلى : نعم من النوق الراجحة في نجد ويقال لها الزيال . اتزن : اندفع ولي القوامس زن دفع فكانه يقول اندفع الى كورها . الكور رحل البعير . ظليت من ظل

(٥) يريد لو اقبلت لكانت باختلاس همزة اقبلت . الربد : الظليم ذكر النعامة ولم اعثر عليه في الكتب اللغوية (٦) يصف قوله بالسمن . كنو : كأنه . النزل : الناعم . القطايف جمع قطيفة اي الستار المخمل (٧) زل : همزة وانا مختلسة . شفت : جبوت ورأيت والعراقيون وغيرهم يستعملونها بمعنى رأيت في جميع كلامهم . الصمان : علم ما نقل لي اسم مكان وكذا خشوم النوايف وعلى ما ظن الصمان جمع اصم كناية عن الصخور وخشوم النوايف القلل . خشوم جمع خيشوم والنوايف من ناف ارتفع والجمان على غير القياس فكأنه يقول دون الوصول الى تلك الصخور الصماء والقلل الشامخة

(٨) مسرحة الحواز : اسم مكان . مسرحة من سرح والحواز من حاز الابل اي جمعها . اللي : مختلف اللي . الفناجين : اقداح القهوة

(٩) واتوجد بجعل الهمزة الفاً . الحسايف : جمع حسيفة وهي الغيظ والتوجع

واوجودي وجد من طبقوا خلي عقب برد ظهور مومات السفايف(١)
شفت ظبي بالفلا واحسبهُ خلي راح من عندي يدوُر لهُ ولايف(٢)

وقال آخر :

راكب مثل الحمايم يوم شلع صوب ديرة صاحبي لابد تجونه(٣)
وان لقيتوا صاحبي زين المدلع كن صف الريش في حجر عيونه(٤)
بو قرون فوق متنو يوم فرّع شبه حبل السانيه ما هو بدونه(٥)

وقال آخر :

يا ونتي ونة خلوق على الدار على عشيري يوم قلبي فطن له(٦)
قلبي كما حب الشواذر على النار عقب النقر قام يتناوح بدله(٧)
على صواب البيض ما يرهم جباز ومجروحهن ما يرح الليل كله(٨)
جيت الطبيب وحسط مرهم ولا صار وصواب مجروح القلب ما يدله(٩)

هذا بعض ما حفظت ولو اردت ان انشر جل ما اورويه او اذكر سائر اقسام الشعر النجدي لاطلت على القراء الكرام وعسى ان تسمح الفرصة حيناً ما فاعود الى ذلك

طهران عباس الخليلي النجفي

---

(١) طبقوا : ذهبوا مسرعين ويريد بخلي اخلائي. مومات السفايف : كناية عن الابل . وهي من اوى اي اشار . والسفايف جمع سفيفة : منسوج من الوبر وغيره تحمل به الابل . وسفيفة لطوس معروفة (٢) ولايف : جمع الف واصلها : الاثف (٣) الديرة : المحل . تجونه : من جاء بمعنى تصلونه (٤) لقيتوا : اقيتم اي وجدتم . المدلع : المتن والصدر يريد جيد الجيد او المدلع بمعنى المتربي في النعمة والرخاء كما في دواوين اللغة فهو يريد بذلك حسن التربية . كن : كأن. حجر : من حجر العين وهو ما حاق بها (٥) بو : ابو بمعنى ذي. قرون : القوائم . السانيه . الناقة يستق عليها وقد شبه ذوائبه بحبل السانية لطوله وهذا تشبيه حسن يكثر عند البدو

(٦) الخلوق . الناقة (٧) الشواذر جمع شذر : الخرز وقد يراد به الفيروزج كما هنا وقد استعاره لحب الهيل . النقر : الطارق او صوته . يتناوح يقل ويفور . الدلة : آناء يطبخ فيه البن ويسقى به ايضاً وهو معروف . يريد ان قلبي عند ما فطن لشيري وتذكره صار مثل حب البن على النار بعد ان حس انه يفور ويغلي . وهذا ايضاً من بدائعهم

(٨) يرح : يستريح . ومرح : فرح ونشط (٩) جيت : مخففة جئت به وقد غيرت صورتها فقدمت الباء وأخرت التاء . القلب بضم اللام وهي ضرورة جائزة . الصواب : الجرح وهو من الاصابة ولم يرد بهذا المعنى وانما الصواب عند الخطاء ولكن يستعمل اليوم بمعنى الجرح في كثير من الانحاء العربية